كتابة وتأليف
آيه الفقي
" عَــدْن "

" سلسلة الضائع "

النص الأول

٢٠ تشرين الأول ١٥١٩ ميلاديًا

" الحلم الأول... الرقصة الأولى... والقلب الضائع. هويت بين ثنايا عقلي، من حفرةٍ لأخرى، من ديجورٍ لآخر. ليتبدد الظلام أخيرًا بعدما ركضت بلا هوادة طوال الطريق. شعاع خافت من الأمل تدفق لجوفي، فتفككت رموشي وفتحت عيني. نظرتُ حولي... ثانية... ثانيتين... وبعدها؟

مهلًا، من أكون؟ "

النص الثاني

٢٠ تشرين الأول ١٥١٩ ميلاديًا

" شعاع الشمس من النافذة يعكس الترتيب الهوسي للغرفة؛ منظمة بعناية ودقة... كأنها رُتبت عشر مرات.
وقفت أمام انعكاسي، أحدق في أشلاء شخص لا يعرف من هو.
أناملي تلمس وجهي، تجاعيدي بين الحاجبين، وشامة أسفل عيني تغطيها الهالات.
لقد كنت باهتًا، منسيًا، فاقدًا لكل شيء.
على الطاولة أحمر شفاه ومنديل أصفر معطر، عليه حروف أنيقة ناعمة:

"اشتقتُ لكَ..."
توقيع الآنسة ميم."

النص الثالث

٢٠ تشرين الأول ١٥١٩ ميلاديًا

"البرواز المُحطم لصورة الزفاف التقليدية كان ينخر بِرأسي.
إنه أنا... ولكن من العروس؟
"أنتَ لست أنتَ، وأنا لستُ أنا."
دموع جافة تلوث الكلمات على ظهر البرواز، الغريب أنهُ الشيء الوحيد المهمل وغير منظم على الطاولة المثالية.
حدقت مجددًا بالصورة، ومجددًا بإنعكاسي.
منديل الآنسة ميم... والعروس التعيسة.
لا، إنهن اثنان.
الخط غير الخط، والقلب غير القلب، والدموع... آه، هناك روحًا سقطت من البرواز."

النص الرابع

٥ تشرين الثاني ١٥١٩ ميلاديًا

" تزوجتُ برجلٍ نبيل، طاعةً لتقاليد عائلتنا؛ فَالبكر تتزوج أولاً، والرجل من آختيار الأب... وأبي لا ينفك عن آختيار الرجل المثالي... والمثالية في عائلتنا تُقاس بمدى نفوذ العائلة الأخرى.
غيّرتُ لقبي، غيّرتُ قلبي، غيّرتُ أفكاري، وتزوجت برجل نبيل... لكنه لم يكن نبيلًا. ومع صدمة الإدراك ومرارة الواقع، تهتُ في المنتصف ولم أعد. لم أعد كما كنت، ولم أجد ذاتي السابقة، ولم أمتلك ذاتًا حالية. أنا وهويتي نلعب الغميضة؛ من يجد الآخر أولاً... يخسر."

_من مذكرات " السيدة النبيلة سابقًا... التعيسة حاليًا، صوفيا لومير."

النص الخامس

٢٧ آذار ١٥١٨ ميلاديًا

" إنه يحبني يا أمي...
يحتسي قهوته برفقتي،
أرسل لي باقة زهور البارحة لأني كنت مريضة.
تغزل بفستاني الأسبوع الماضي،
وسمح لي بالدخول للمقهى قبله مردداً:
"السيدات أولًا."

كيف لا أحبه وهو رجل نبيل؟
كيف لا أحبه وهو يستحق حبي؟

كيف لا أحبه يا أمي... وهو يحبني؟

من ميلا العزيزة لأمها الحبيبة."

" رسائل حملها ساعي البريد "

النص السادس

٢١ تشرين الأول ١٥١٩ ميلاديًا

" حككت لحيتي غير المُهندمة بيدي.
تيهٌ كامن بين ثنايا عقلي وأركان البيت الذي يقيني من العالم، قادني إلى ركن الذكريات.
الكثير من الجرائد المُهملة متناثرة هنا وهناك، ولفائف تبغ مُطفأة، ورمادها يغطي السطح.

كيف لمهووس بالنظام أن يترك هذا الركن بهذا الشكل؟

وجدت الدليل الأخير...
ورقة اتفاقية طلاق بلا توقيع أي من الطرفين.
صور ممزقة يصعب إعادة تجميعها.

أدركتُ عدة أمور وعلى ذالك استنتجت:

رجل متزوج زواجًا تعيسًا.

بائس يخون زوجته مع فتاة تتنفس الحياة.

المدعاة ميم حيه جدًا.

العروس التعيسة، وكأنها تتنفس الموت.

مهووس نظافة، لكن كئيب.

وأخيرًا... أدركت أنني مدمن تبغ.

بحثت عن لفافة وقداحة، وأشعلتها.
ومع أنفاسي الأولى، بعد أن تخلل التبغ رئتي، أدركت آخر إدراك:

أنا ما زلت لا أعرف من أنا... ما زلت ضائعًا."

" على لسان التبغ"

النص السابع

٢٧ نيسان ١٥١٨ ميلاديًا

" مرهفة الحس، جميلة القلب والقالب،
ملاكي الغالي... ميلا العزيزة.

وردتني رسالتك.
ملاكي الغالي، سرق قلبها رجل ما.
أريد تفاصيل أكثر عنه، وعنِك، وعنكما.
هل علاقتكما جيدة؟
هل أنتما سعيدان؟
هل أنتِ سعيدة، ميلا؟

وكالمعتاد، أرسل قبلاتي وحبي لكِ يا ملاكي.
وفي النهاية، أتمنى ألا يغلبك الهيام وألا يتأذى قلبك.
لا تُفرطي بجوهرتك الثمينة.
أتمنى لكِ السعادة دائمًا، وسأنتظر بشوق رسائل أخرى منك.

إلى ملاكي الغالي، عزيزتي ميلا سيرافيني... فؤاد أمها."

" رسائل حملها ساعي البريد "

النص الثامن

١٩ تشرين الثاني ١٥١٩ ميلاديًا

" كم كان صباحًا جميلاً.
السماء تمطر،
والغيوم الكئيبة لا تتزحزح من مكانها.
لا أحد في الطرقات،
والرعد يصمّ الآذان.

آه... نعم، صباح جميل جدًا.
أحتسي كوب قهوتي المُر كحياتي،
وريشة الحبر الأسود تلطخ فستاني الأنيق.
بصراحة، لم أعد أهتم بمظهري ولا بنبلي.
لم يعد هناك شيء مثير للاهتمام.

أحيانًا، يؤرقني الندم.
أنني تخليت عن قلب أحبني،
وتمسكت بصورة ليست أنا.
زواجي كان نقطة تحول،
العائلة، الشرف، النبالة، التراث، السلطة، الكيان، الكينونة...
كلهم بلا فائدة.

أدركت هذا متأخرًا جدًا،
حينما خسرت كل شيء،

حينما خسرت أحلامي،
قلبي،
ونفسي.

أنا الآن امرأة تعيسة،
على أعتاب الطلاق، أدق بابه بشدة.
سأكون أيقونة ووصمة عار،
لكن لم أعد أهتم.

لقد أصابني التبلد والاكتئاب،
وأنا الآن أراقب الغيوم بتمعن،
وأنتظر أن أجد نفسي الهاربة،
تحلق بينها.

نعم، ما زلنا نلعب الغميضة."

من مذكرات السيدة التعيسة "صوفيا لومير".

النص التاسع

١ كانون الأول ١٥١٩ ميلاديًا

" قصصت شعري ومزقت فستاني...
اليوم أكملت عامي الرابع والعشرين.
لو أن الزمان غير الزمان، لكنت الآن أحتفل به في حفلة راقية، ويدي تحتضن يد السيد فاندرفورت الباردة.
لو أن الزمان غير الزمان، لما كنت الآن أجمع الحطب بقميص وبنطال، مثل الرجال.
لو أن الزمان غير الزمان، لكنت الآن أمشّط خصلات شعري الحريرية بفرشاة الفضة.
لو أن الزمان غير الزمان، لكنت ما زلت أراقب الطيور المحلّقة من نافذة بيتي الفاخر.

أتساءل: لماذا منذ رحيلي لم يأتِ أحد ليجدني؟
أتساءل: كيف حال السيد فاندرفورت الآن؟
أعتقد أن الوضع لم يتغير، فبالنهاية كنت التمثال المزخرف في بيته، الذي لا معنى له.

حتى بعدما حرقت جلدي بالماء الساخن، أطرافي ما زالت تتجمد.
بعدما قصصت شعري، رمز جمالي وأنوثتي، عبوسي تحرر لوهلة.

لستُ امرأة مهمة كالسيدة "كاثرين دي ميديشي"، سيدة هذا القرن في فرنسا.
لستُ مقاومة، أو سياسية محنكة، أو محاربة مخضرمة.
كنتُ مجرد هاربة ضائعة، على حافة العار ترقص وهي تطلب ما لم يطلبه أحد.
كنتُ عار العائلة، وعار النساء...
امرأة تستجدي زوجها النبيل ليطلقها.

الآن...
سيدة صوفيا لومير، هل أنتِ نادمة؟

صمتُّ لثوانٍ، بل لدقائق، يمر شريط أيامي أمامي، ومن ثم تنهدت، وببرودة وجمود قلت:
"لا، لستُ نادمة."

"يوميات السيدة التعيسة صوفيا لومير"

النص العاشر

٢٢ حزيران ١٥٠٨ ميلاديًا

"الواحدة بعد الظهر، في طريقي لقاعة الغداء، لمحت من إحدى نوافذ القصر "إيثان ريتشي"، الفتى الهجين كندي إيطالي، ويعيش بحي النبلاء في فرنسا... قد انتقل حديثًا، وفي السادسة عشر من عمرهِ.
كيف علمت كل هذا؟
بإختصار.. عائلة ريتشي وعائلة لومير أصبحوا مقربين في فترة قصيرة، وأنا أعني بالفترة القصيرة الأربع سنوات السابقة. إيثان يدرس معي، أنا وأخي الأكبر، دروس الأدب والتاريخ.
إيثان كان حيًا جدًا، كل من هم في سنه يتصرفون بِحذر ونبل.. على عكسه.. متواضع.. ويميل للتهور.. وهو الآن يلعب بالماء في حديقتنا مع القطة.
لو رأته أمي، لأصابتها نوبة قلبية.
مادموازيل صوفيا،
انتبهت أني أحدق به وأبتسم حينما نادت الخادمة... استعدت رابط جأشي وتكبري، واستدرت أنظر لها.

قاعة الطعام الفاخرة.. أم تمثيل حرفي للرقي، أكثر من كونها أم. وأب صارم يريد المثالية في كل شيء.

وأخيرًا، الفيكونت دومينيك لومير، أخي الأكبر، نسخة أبي ووريثه.. صارم ومتكبر.. أو هكذا أراه.

أوليس كل ما أراه هو الحقيقة؟
أم خفايا البشر أعظم من أن تدرك بالعين المجردة؟

.. في طريقي لغرفتي، بعد وجبة طعام دسمة مشحونة بالتوتر والمثالية المزينة بالرقي مع الكونت والكونتيسة لومير، اقتحم طريقي طويل القامة بملابسه المبللة وعيونه الخضراء. أعطاني زهرة الزنبق الزرقاء قائلاً:
"لقد رأيتها في الحديقة وذكرتني بعينيك." قالها بلكنته الفرنسية الثقيلة والمليئة بالأخطاء، ثم غادر مبتسمًا.

هذا سخيف جدًا!
كان يجب أن أرفضها.
هذا سخيف جدًا!
لما أمرت الخادمة أن تعتني بها؟
هذا سخيف جدًا، قلبي ينبض لأن إيثان الهجين أهداني أنا، صوفيا النبيلة، ورده زنبق بلون عيني!"

" ذكريات زهرة الزنبق الزرقاء."

النص الحادي عشر

٢١ تشرين الأول ١٥١٩ ميلاديًا

" الليلة الأولى بعد الفقد كانت غريبة.. شعرت بأن أجزائي مهشمة ومفقودة.. كل جزء في غير مكانه.. روحي هامدة كأني ميت.. ماذا خسرت مع ذكرياتي؟ ضحكت بسخرية، أعني ماذا تبقى بدون ذكرياتي؟ فقدت كل شيء.. أشعر بالاشمئزاز: أأنا خائن؟ منافق؟ كاذب؟ وضيع؟ مطلق؟ حبيب؟ من أكون؟ ماذا أفعل؟ ليلتها لم تحتضن جفوني بعضها.. لم تذق عيوني النوم.. أحاول إجبار عقلي مرات على التذكر.. أصبحت مجنونًا.. لقد ضربت جمجمتي عدة مرات.. لا شيء.. لا شيء يعود.. أنا ملعون.... وتعيس.. أخشى حينما تعود ذاكرتي أن أكره نفسي أكثر.. نفسي الضائعة.. أين أنتِ؟ هل سأكرهك؟ هل سأتمنى أني لم أجدك؟ أنا أبدًا لن أعرف ما دمت لم أصل.. وقد اتخذت قراري بعد ليالي أرق طويلة... فتشت على رسالة الآنسة ميم وأرسلت رسالة لنفس العنوان:

"نحن بحاجة للقاء.
توقيع السيد..
السيد ميم."

النص الثاني عشر

٣١ تشرين الأول ١٥١٩ ميلاديًا

" غادرني أبي حينما كنتُ رضيعة. كانت أمي كل شيء: الأب، الأم، العائلة، الصديق، والحبيب.
آه، أمي، كم أنا ممتنة لكِ...
لكن حياتي تغيرت بعدما سافرت إلى فرنسا، أرض الفن ومقام الموناليزا.
هاجرت إلى مسقط رأس الفنون. أردت أن يُخلد اسمي بجوار ليوناردو دي سير بييرو دا فينشي، عبقري النهضة... وفنان القرن..
لكن الحياة أعمق بكثير من أن ندركها كلها بعقلنا البسيط.

هناك، قابلت قلبًا دافئًا وعيونًا لامعة. هناك، نبض قلبي لرجل. كانت لقاءاتنا صدفة، وأحاديثنا نظرات مبهمة.
كانت قلوبنا تنبض، وبدأ الأمر من هنا: رسائل، ورود، ونبض قلب.
كم أحببت لكنته الفرنسية، وكم عشقت حروف اسمي على شفتيه:
"ميلا، لوحاتك تتنفس.
ميلا، فستانك جميل.
ميلا، ما رأيك أن نحتسي كوب قهوة؟
هذه فرشاة ولوحة، هدية مني.
وهذا قلبي أقدمه لك، هل تقبلين به؟"

نعم... نعم، لقد وقعت.
نعم، أوافق.
نعم، أقبل قلبك.

عزيزي السيد ميم،
وردتني رسالتك.
لنلتقي كالمعتاد بأرض الفن، قصر اللوفر. ستجدني هناك كالمعتاد انتظركَ.
لوحاتي اشتاقت لك، وروحي أيضًا.
وأخيرًا، أرسل قبلاتي لحين أن تصل.

توقيع:
الآنسة ميم "

"رسائل سَردها الفن"

النص الثالث عشر

١٥ كانون الأول ١٥١٩ ميلاديًا

" أدركتُ حقيقة نفسي... ذات يوم عرفتها حق المعرفة... كانت مختلفة، رقيقة وحنونة... الحقيقة هي... أنا امرأةٌ عاطفية تَدعي الجمود، أحتفظ بِمنديلٍ كُتِب عليه حرف اسمي الأول، ووردةٌ ذابلة في مذكّراتي منذ عشر سنوات، وزجاجة عطر فارغة... أنا أحفظ رعشات قطتي بعدما تستحم في الشتاء، وتغريدات العصفور عند نافذتي كل صباح... وكم مرة ابتسمت في حياتي؟ المضحك أن العدد يمكن حصرهُ على أصابعي...
أنا أمرأةٌ تهلكها التفاصيل.. تؤرقها ولا تتوقف عن منازعةِ رأسها...

لم أرد شيئًا..
لم أرد زوجًا يا سيد فاندرفورت،
لم أرد قلبًا يا إيثان ريتشي،
لم أرد أخًا يا دومينيك لومير،
ولم أرد عائلة يا نبلاء فرنسا...
لا أب، لا أم، لا أخ، لا زوج، لا ابن ولا حتى حبيب...
أنا حساسة جدًا،
ضعيفة جدًا،
وعاطفية جدًا...
كل ما أحتاجه كان أن تعود لي نفسي... أن أجدها بين ركام الذكريات...
لكنني أبدًا لم أحصل على ما أردت،
لكنني أبدًا لم أحصل على ما أحتاج،
لكنني أبدًا لم أحصل على أي شيء،
وثروتي الوحيدة - نفسي - قد فقدتها."

" اعترفات -السيدة الضعيفة- صوفيا لومير "

النص الرابع عشر

١٤ نيسان ١٥٠٤ ميلاديًا

أمام زهور الزنبق الزرقاء كنتُ أحدِّق بِفراشة زاهية الألوان.
أمام زهور الزنبق الزرقاء كنتُ حينها أستطيع أن أُبصر الألوان.
رفرفة خافتة من الفراشة تركت أثرًا، أثرًا أقوى من إعصار يضرب أراضي البرازيل. الفراشة التي كانت تضجع على تاج زهرة الزنبق توجهت لتاج آخر يشبهها أكثر، تاج أكثر جمالًا ودفئًا.

استقرت على رأس الفتى ذي عيون الغابات، واستقرت قدماي في قلبي حينما ابتسم. أثر الفراشة زاهية الألوان صنع فوضى في كياني. أفصح ذو عيون الغابات عن ابتسامةٍ واسعة، واتضحت أسنانهُ المليئة بثقوب التسوس. حينها أدركتُ أنه فتى لا يهتم بِقوانين غسل الأسنان الصارمة، وأنه الفتى الذي خلق الشعلة الأولى للفوضى والتمرد داخل روح نبيلة عاجزة.

كان يجب حينها، بعدما لمحت غمزاته الجميلة، أن أركض بعيدًا. كان يجب أن أهرب. لكني ضعفت، خذلتُ عقلي ونبض قلبي.

تحرك جفناى بإتجاهِ حينما تحدث للمرة الأولى بِلكنة فرنسية ثقيلة جدًا، كشفت عجزه، غربته واختلافه. قال أغرب شيء سمعته: "هل تفضلين القمر أم الشمس؟"

عجزه الكامن عن نطق الحروف بدقة أهلكني. فقدت النطق لثوانٍ، ثم استعدت رباطة جأشي. حاولت استعادة صوتي وتنظيم ضربات قلبي، وقلت بفتور، مستعيدةً هيبتي الضائعة أجيبه:
"النجوم."

لكنتي الناعمة والطفولية صدح صوتها وسط أزهار الزنبق المتشابكة. اتسعت شفتاه، وهذه المرة بدا كأنه يتعمد أهلاك قلبي، حينما صدح صوت ضحكته اللطيفة.

استدرتُ أغادر، أتركه وحده بين زهور الزنبق، صوت ضحِكاتهِ، الفراشة الزاهية وقلبي المسروق حديثًا.
ردد همسًا بعدما غادرتُ وابتسامته واسعة:
"النجوم، بِالطبع... النجوم."

"ما رَوتهُ زهور الزنبق الزرقاء"

_عَــدْن | الـضـائـع.

يتبع...